## المحاضرة الثامنة : سياسة الرسول الكريم ( ص واله ) في مواجهة التحديات الخارجية :

تحدثنا في المحاضرة السابقة عن سياسة رسول الله ( ص واله ) الداخلية في المدينة المنورة وكيف عم الامن والاستقرار من خلال تحقيق العدل بين مكونات مجتمعها ، بعد ذلك بدأ المسلمون من المهاجرين بإكثار الطلب والالحاح على النبي ( ص واله ) بخوض الحرب ضد المشركين وإستعادة ما سلبوه منهم والعودة الى ديارهم ، لكن النبي ( ص واله ) كان يرى ان الوقت غير مناسب خاصة ان الله سبحانه وتعالى لم يكن قد اذن له بالقتال بعد ، لذلك بدأ بالاعداد والتهيئة وكانت هذه الانتقالة الى مرحلة السياسة الخارجية ولكن في إطار المحافظة على سياسته السلمية في الداخل والخارج لذا إعتمد ( ص واله ) على سياسة الردع وتجنب اللجوء الى المواجهات العسكرية ، لاسيما إن محيط المدينة المنورة لا يعرف سوى لغة الحرب والسلاح وهو مبدأ جميع القبائل البدوية لذا عمد الرسول ( ص واله ) الى إظهار ما يمتلكه من قوة دون استخدامها أمام القبائل تمهيداً لجرها الى توقيع الاتفاقيات والتحالفات مع هذه القبائل في حال وقوع صراع مسلح مع زعماء قريش ، وبالفعل نجح النبي ( ص واله ) في سياسته هذه في فرض قوته امام القبائل حتى اذن الله تعالى بالقتال حينما نزل قوله تعالى : **((أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ))** ، بدايةً اختار النبي ( ص واله ) عدم الدخول في مواجهة عسكرية واختار الضغط او الحرب الاقتصادية مستعيناً بموقع المدينة المنورة الاستراتيجي الواقع على طريق قوافل مكة التجارية فبدأ بمراقبة تلك الطرق ليمنع قريش من استخدامها في تجارتهم وبالفعل فقد كان تجار قريش قد وضعوا رؤوس اموال المهاجرين في قافلة كبيرة ، لذلك حرص الرسول ( ص واله ) على السيطرة على هذه القافلة لاستعادة اموال المسلمين التي صودرت من قبل مشركي مكة ، وذلك لأن المشركين استولوا على اموال وبيوت المهاجرين وقاموا بمصادرتها ، تناقلت اخبار استعدادات الرسول ( ص واله ) لمسامع قريش فحاولوا تغيير مسارهم الا ان زعامات قريش رأت في ذلك انتقاص من مكانتهم وتهديد مؤكد لتجارتهم فعمدوا لتجهيز قوة عسكرية بلغت ما يقارب ١٠٠٠ مقاتل بينما لم يتجاوز عدد مقاتلي المسلمين ٣١٣ مقاتل فكان لابد للمسلمين من الدخول في اول مواجهة عسكرية مع المشركين في السنة الثانية للهجرة عرفت **بإسم معركة بدر الكبرى** .

من الجدير بالذكر ان اغلبية المؤرخين يوعزون سبب قيام معركة بدر هو سيطرة المسلمين على قافلة ابو سفيان العائدة للمسلمين ، هذا سبب لكنه ليس رئيسي ، فالسبب الرئيسي يعود الى ان كتيبة من المشركين دخلوا الى اراضي المسلمين في المدينة المنورة في السنة الاولى للهجرة حيث قاموا بقتل بعض المسلمين

وسرقة إبلهم ، فخرج جيش المسلمين بإثرهم لكن لم يستطيعوا اللحاق بهم من هنا عندما مرت قافلة ابوسفيان في السنة الثانية الهجرة وكان مرورها داخل اراضي دولة المسلمين عمل المسلمين على اعتراض القافلة وسميت هذه الواقعة ( ببدر الصغرى ) ، لذلك خرج المسلمون لامرين : الاول : فرض سيطرتهم على الاراضي ومنع التجاوزات القرشية ، وثانيها : استرجاع اموالهم المنهوبة في مكة ، فلا بد من توضيح هذه الاسباب لازالة الشبهة عن سياسة الرسول الكريم ( ص واله ) العسكرية التي اتسمت بكونها دفاعية وليست هجومية .

كانت معركة بدر أول معركة مسلّحة كبرى خاضها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون في مواجهة المشركين من قريش، وذلك يوم الجمعة في السابع عشر من شهر رمضان المبارك في السنة الثانية من الهجرة، قرب بدر على بعد حوالي مائة وستين كيلو متراً من المدينة فيما بينها وبين مكّة المكّرمة.

وبدأت المعركة بالمبارزة ثمّ التحم الجيشان وهما غير متكافئين لا من حيث العدد ولا من حيث العتاد، ولكنّ الله أنزل الكثير من ألطافه ورحمته، فتدخّلت يد الغيب، وجاء الإمداد الملائكيّ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فحقّق الله سبحانه النصر للإسلام والمسلمين، حيث قال تعالى: ﴿**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاء إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الأَبْصَارِ**﴾ ، والجدير بالذكر أنّ النصر الإلهيّ للمسلمين في الحادثة التاريخية كان ذا جانبين، فقد كان نصراً عسكرياً، ونصراً منطقياً، فمن الناحية العسكرية: انتصر جيش صغير مفتقر إلى المعدّات الحربية على جيش يبلغ أضعافه عدداً وإمكانات. ومن الناحية المنطقية: فإنّ الله كان قد أخبر المسلمين صراحة بهذا النصر قبل بدء الحرب، قال تعالى: ﴿**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾، وهذا ما نراه في الذين وُهِبوا البصيرة بحيث يرون الحقائق كما هي، يدركون أنّ أساس هذا الانتصار هو الإيمان وحده. واندحرت قوّة قريش.

**عوامل انتصار المسلمين**

كانت هزيمة قريش وانتصار المسلمين في بدر مفاجأة غير مُتوقَّعة، وصلت أصداؤها إلى الحبشة. ويُمكن تلخيص أسباب وعوامل هذا الانتصار الباهر للمسلمين بما يلي:

١- وقد كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قيادة حكيمة لا نظير لها، فالقيادة الصالحة للنبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) وشجاعته وإقدامه، وفي ذلك يقول الإمام عليّ عليه السلام " **:كُنّا إذا احمرّ البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه واله وسلم؛ فلم يكن أحد منّا أقرب إلى العدوّ ))**.

٢- وكان للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في هذه المعركة دور كبير فكان (ع) حامل الراية في هذه المعركة وفي كل الحروب فعن ابن عباس، قال: دفع رسول الله (ص) الراية يوم بدر إلى علي وهو ابن عشرين سنة.، وبرز دوره ( ع) قبل المعركة في الاستسقاء للمسلمين ، يروى ان النبي (صلى الله عليه وآله) عطش والمسلمون في بدر عطشاً شديداً فجاء الامام علي (صلى الله عليه وآله)بالماء من بدر رغم الحرس الكثير الموجود هناك وظهرت شجاعته المتميزة بين صفوف المسلمين، فهو وحده قتل نصف عدد من قُتلوا من المشركين ومن جهة أخرى أثبت المسلمون أنّهم أصحاب حقّ، وأنّهم يستطيعون الصمود في وجه أقوى العرب في ذلك الزمن وهي قريش.

٣- العقيدة الراسخة والمعنويّات العالية، حيث كان المسلمون على درجة عالية من الإيمان وقوّة الروح المعنويّة، وقاتلوا بكلّ بسالة وأظهروا من الشجاعة ما أثار دهشة المشركين.

٤- الإمداد الغيبيّ، الذي حصل على عدّة وجوه، مثل نزول الملائكة على المسلمين بالنصر وحضورهم في ساحة المعركة، وإلقاء الرعب في قلوب المشركين

**ولعل أبرز نتائج هذه المعركة أنّها:**

١- عزّزت ثقة المسلمين بأنفسهم، وثبّتت إيمان بعض المتردّدين في إسلامهم.

٢- جعلت من المسلمين قوّة مرهوبة الجانب عند القبائل المشركة واليهود في المنطقة.

٣- شجّعت الكثيرين من القبائل على الدخول في الإسلام بعد أن كانت قريش تشكِّل الحاجز النفسي والماديّ لهم ، فأرسلت هذه القبائل وفودها للتفاهم مع رسول الله ( ص واله ) .

٤- أضعفت هيبة قريش الاقتصادية ونفوذها ومكانتها بين العرب.

٥- فتحت الأبواب أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الانطلاق بحرية أكبر في نشر الدعوة.
٦- زادت من قوّة التضامن والتماسك بين المهاجرين والأنصار وعزّزت وحدتهم في مواجهة التحدّي.
٧- سمى القرآن الكريم هذه المعركة بيوم الفرقان لانها فرقت بين الحق والباطل .
٨- سماها الله تعالى بالنصر المبين لقوله تعالى : ((**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**)) ، فقد حدد الله سبحانه وتعالى الهدف العملي لنصر المسلمين بيوم بدر ، فحال المسلمين كان ذليلاً قبل معركة بدر لان الكثير من القوى تتربص بهم فهناك مردة اهل الكتاب الذين يديرون ويتحكمون بقبائل العرب لاسيما في قريش بالذات وهناك الوثنيين من قريش وغير قريش الذين تأصلت الوثنية بهم واختلطت مصالحهم الادارية والحياتية ، وهناك امبراطوية كسرى التي بسطت نفوذها وسيطرتها على بلاد العرب ، كما كان هناك امبراطورية الروم التي فرضت سيطرتها من اواسط اوربا الى الشام والجزيرة العربية ، فهذه الصورة جعلت جماعة المؤمنين نقطة في تلك المصالح ، لكن بإنتصار المسلمين ببدر قلبت الموازين وجعلت تلك القوى تهاب المسلمين .
٩- اثبتت معركة بدر أنّ القِلّة المؤمنة المجاهدة الصابرة التي تملك إرادة قويّة وعزيمة راسخة، وإخلاصاً، ووعياً، وتخطيطاً، تستطيع أن تُحقّق الانتصارات والإنجازات الكبرى بإذن الله حتّى ولو كان العدوّ يملك الكثرة والقوّة الماديّة الكبيرة.

**<u>شبهات وردود</u>**

١- زعم بعض رواة السيرة (( إنهم صنعوا للنبي «صلى الله عليه وآله» عريشاً من جريد النخل[في غزوة بدر] فكان فيه وأبو بكر معه، وليس معه غيره. ويدّعون أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله» قد وافق على أن يضعوا نجائب ( إبل ) وركائب مهيأة عنده، فإن انتصر فهو المطلوب وإن كانت الأخرى ركب النجائب، ولحق بمن وراءهم من الصحابة في المدينة )) .

**الرد على هذه الشبهة :**

كيف يكون «صلى الله عليه وآله» قد اتخذ العريش مكاناً له، وحرسه الحراس فيه، ويروى: إنه «صلى الله عليه وآله» رؤي يوم بدر في أثر المشركين مصلتاً السيف، يتلو قوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ ويروى ايضاً إنه قد اشترك في حرب بدر بنفسه، وقاتل بنفسه قتالاً شديداً ، ومما يدل على اشتراكه في الحرب أيضاً، قولهم: كان ثمة يوم بدر رجال يقاتلون، واحد عن يمينه، وآخر عن شماله،

وثالث أمامه، ورابع خلفه ، ويروون عن علي «عليه السلام» أيضاً قوله: لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله «صلى الله عليه وآله»، فكان أشد الناس بأساً، وما كان أحد أقرب إلى المشركين منه .

٢- وهناك شبهة اخرى يرددها مبغضي الاسلام حيث يزعمون ان دين الاسلام دين حرب وقتال .

**الرد على هذه الشبهة :**

لا بد من التأكيد على ان عمر الدعوة الاسلامية ( ٢٣ ) سنة ، ( ١٣ ) سنة في مكة لم يستخدم رسول الله ( ص واله ) والمسلمين القوة أبداً بل استخدموا الحكمة والموعظة وقد انتشر الاسلام بهذه الطريقة في مكة وخارجها ، دون إراقة قطرة دم واحدة ، وحرص النبي ( ص واله ) من خلال تواصله مع اهل يثرب الى الانتقال بالدعوة خارج مكة واستطاع من خلال دعوته الى دين الاسلام من تغيير الواقع الدموي الى واقع اسس على المحبة والسلام رافعاً شعار : (( **افشوا السلام** )) ، إضافة الى ذلك فإن المسلمين لم يخوضوا حرباً هجومية بل كلها دفاعية ، مبنية على استعادة الحقوق المسلوبة من قبل كفار قريش الذين صادروا اموالهم ودورهم كما في معركة بدر، فقانون الحرب في الاسلام ينص على عدم الاعتداء ولم يعط الله سبحانه وتعالى الاذن بالقتال الا للذين **ظُلموا** كما ان المسلمين بعد فتحهم مكة تعاملوا برحمة مع المشركين ( **اذهبوا فأنتم الطلقاء** ) وكذلك الحال في كل المعارك التي خاضوها فالاسلام دين تآخي ورحمة وسلام .